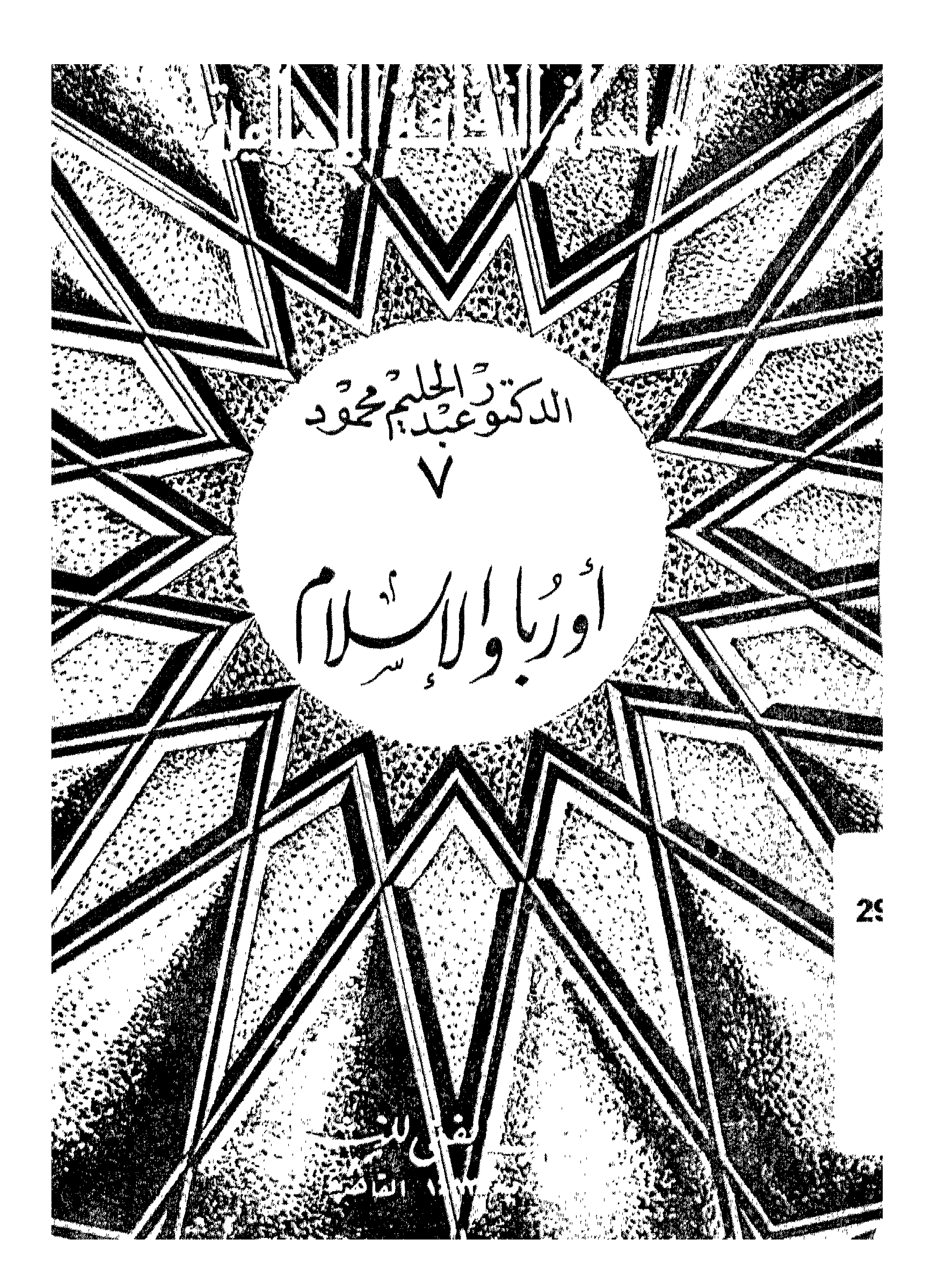

الدكتور عبد الحليم محمود
٧
أوربا والإسلام

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــود ديـــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

الدكتور عبد الحليم محمود

أوربّا والإسلام

سلسلة الثقافة الإسلامية
٧

شعبان ١٣٧٨
مارس ١٩٥٩

سلسلة الثقافة الإسلامية

* تصدر عشرة أعداد في السنة
* لا تصدر في : يوليو وأغسطس
* ثمن العدد : ٥ قروش
* الاشتراك السنوى :

٥٠ قرشا في مصر

٦٠ « في البلاد العربية .

٧٥ « في الخارج .

* للمشتركين امتياز خاص

تصدر عن

المكتب الفني للنشر

ص . ب ١٤٨٣ . القاهرة

المشرف المسئول الأستاذ

محمد عبد الستار السمان

المراسلات والتعامل باسم المشرف المسئول

مطبعة دار الجهاد

١٤ شارع الجمهورية

العــــدد السابع



هذا هو العدد السابع : عن أوربا والاسلام للدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين ، وخريج جامعة السوربون .

ونحن حين نقول : إن أستاذنا غني عن التعريف . لا نلقيها عبارة تقليدية للمجاملة . . وكفى ، بل نكتبها لتقرر واقعا في غير ما تزلف أو رياء . .

أما موضوع البحث ، فهو موضوع جريء أولا ، ولقد كتبه الدكتور بصراحة العالم المؤمن ، وجاء نتيجة لما لمسه خلال السنوات العديدة التي قضاها بفرنسا وسمع هذه الآراء بنفسه من أساتذة مادة تاريخ الأديان بجامعة السوربون . .

فللإسلام منطق له طاقة من الإمكانيات الضخمة ليشق طريقه إلى أوربا ، ولو وجدت هذه الطاقة من يتعهدها ويرعاها ، لآتت ثمراتها طيبة ولكن الذي يدعو إلى الأسف ، أن المسلمين – كجماعة – لا يكادون يدركون هذه الحقيقة ، بل هم في غفلة عنها .

إن الاسلام دين إنساني عالمي ، وكثير من العقول في الغرب مستعد لأن يقبل الاسلام ، لو أن للإسلام دعاة يطوفون أنحاء الدنيا ، ويوم يكون للمسلمين دولة ذات وضع وكيان ، يمكن أن يوجد من يضطلع بهذه المهمة ، وإلا فالمسلمون عامة مقصرون والمسئولية على أعناقهم إلى أن يلقوا ربهم . !

محمد عبد الله السمان

إلى الإخوة القراء . .

حين فكرنا في إصدار سلسلة الثقافة الإسلامية كنا نهدف إلى إبراز القيم العظيمة للإسلام ، بتقديم الثقافة الواعية الناضجة . واعتبرنا حرية الرأي حقا مقدسا للكاتب ما لم تمس أصلا من أصول الإسلام ، أو تخدم هوى . .

وقد جاءتنا رسائل عديدة يمتدح بعضها وينقد البعض الآخر آراء الكتاب ، ونود أن نقول لإخواننا الأحباب :

إن السلسلة تفسح صدرها وترحب بكل نقد ، وستخصص له صفحات في العدد الأول من المجموعة الثانية ، ونحن مستعدون للنشر مع مراعاة الإيجاز المركز . .

فغايتنا جميعا أن نصل بهذه السلسلة الوليد إلى الكمال الذي ننشده . والله الموفق . ؟

المشرف المسئول

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بدأت فكرة هذا الكتاب تتسرب إلى نفسى — بطريقة لاشعورية منذ عهد بعيد .

ففى اكتوبر عام ٩٣٢ وصلت إلى باريس ، وذهبت لصلاة الجمعة فى المسجد ، وما إن انتهت الصلاة ، حتى رأيت شخصا تلوح على وجهه سمات الطيبة يتجه نحوى ، ثم يسألنى :

— هل أنت مصرى . . ؟

— نعم . . .

— هل تعرف محمود بك سالم . .؟

— لم يسعدنى الحظ بذلك . .

— هيا إذن لأعرفك به . .

وذهبت معه وقابلت السيد « محمود سالم » وأحسست عند لقائه بالارتياح إليه والضيق به فى آن واحد : كانت نظراته كأنها انعكست انعكاسا تاما فى داخل نفسه واستقرت على أفكاره ، فهى ترى

الأفكار وحدها دون نظر إلى المخاطبين ،لم يكن حفيا في تحيته، لكنه قال ، بدون مقدمات ، وهو يمد يده بطريقة آلية: موعدنا الليلة في المحطة ، الساعة الخامسة لنستقبل الأستاذ « خالد شلدريك »

فأخذت أسائل نفسي : من هو « خالد شلدريك » ؟ ولم نستقبله ؟ وهل من الضروري أن أذهب لاستقباله ؟

تلك أسئلة دارت بخلدي ولم أجد لها جوابا ، وكادت تعوقني عن الذهاب ، ولكن حب الاستطلاع والشعور بالغربة الذي يدفع إلى حب التعرف بالآخرين دفعاني إلى الذهاب في الموعد المحدد .

وجاء « خالد شلدريك » وكانت السيارات معدة ، فركبنا ، وكنا جمعا غفيرا ، ولكنني لم أكن أدري إلى أين نحن ذاهبون .

ووصلنا إلى قصر فخم ، ونزل الركب ، واستقبلتنا سيدة أنيقة في صالون غاية في الفخامة والأبهة ، لقد كانت - كما عرفت فيما بعد - أميرة سرواك ، إحدى مقاطعات الهند ، أميرة انجليزية ، أسلمت وكتبت كتابا عن سبب إسلامها ، نشرته على نطاق واسع ، وفي هذا المجتمع الذي اختلفت الجنسية فيه ، أدهشني حقا : أن أرى كثيرين فيه ، أسلموا بعد أن ولدوا على ديانات أخرى ، وهم الآن يجتمعون لتحية خالد شلدريك الذي أسلم وكرس حياته لنشر الإسلام .

وبعد أن تناولنا الشاى خرجنا من جديد إلى قاعة محاضرات فسيحة الأرجاء ، ألقت فيها الأميرة محاضرة عن الإسلام ، وكان عدد المستمعين كثيرا ، وبعد انتهاء المحاضرة أخذ المستمعون يتحدثون ويتناقشون ، وأدهشنى من جديد أن أرى كثرة الذين أسلموا حينما درسوا الإسلام .

أخذت منذ ذلك العهد ، أفكر فى العوامل التى جعلت هؤلاء يتخلون عن المسيحية ، والعوامل التى تدفعهم إلى اعتناق الإسلام على الخصوص ، وهل هناك من وسيلة ناجعة لنشر الإسلام بين ربوع الغرب ؟ .

وصرفتنى الدراسة عن التفكير المستغرق فى هذا الموضوع ، ومضت السنون ، وكلما فكرت فى الأمر صرفتنى شواغل وأعمال أخرى .

إلى أن كانت سنة ١٩٤٨ ، وكنت مع أحد العلماء الأمريكان ، نطوف بأرجاء الأزهر .. معهدنا العتيق ، وبينما نحن على وشك الخروج ، علمت أن بعض الأعضاء من لجنة الفتوى موجودون فى مكان اجتماعها ، فحدثته بأمر لجنة الفتوى ، فرغب فى أن يلتقى هؤلاء الأعضاء ، فدخلنا إلى القاعة ، فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم الشيخ العنانى ، وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلا :

إن الغرب الآن فى حالة روحية مضطربة متأرجحة ، ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام ، ولكن من المحتمل أيضا أن يتجه إلى صوفية الهند ، فهل أعد الأزهر أو الهيئات الإسلامية برنامجا لتوجيه الغرب نحو الإسلام .. ؟

وكان سؤالا مربكا ، ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب ، وفى أسلوب دبلوماسى لبق : إننا بصدد الدراسة والبحث .

وجعلنى سؤال العالم أعود من جديد إلى التفكير فى موضوع الغرب والإسلام .

وصرفتنى الشواغل من جديد إلى أن وقع فى يدى كتاب : « إيقاظ الغرب للإسلام » ، تأليف اللورد هيدلى . وقرأت فيه :

من عدة سنين خلت ، كان أحد أفكارى الرئيسية هو كيف يمكن للإسلام أن يتغرب « يصبح غربيا » ، حتى يمارس فى الأمم الأوربية ؟ .

وبعبارة أخرى كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعد أنفسنا لنكتسب ونفقه معنى الإسلام الحقيقى ، ثم تلا ذلك فكر آخر وهو كيف أننا لم نشك من جنسية المسيح الذى نعرف أنه كان آسيويا محضا ؟ كانت أمه العذراء مريم آسيوية ، وكان موسى وكل الأنبياء الموحى إليهم شرقيين ، وكان النبى محمد شرقيا مثل الآخرين ، وأنزلت عليه الشريعة من الله .

فالقرآن من كلام الله ، عز وجل ، كما كان الإنجيل وباقى الكتب المنزلة الأخرى ، والقرآن يثبت ويحق الكتب المقدسة الأخرى والوحى السابق .

كيف يمكن للإسلام أن يتغرب على حد تعبير اللورد ، ذلك هو ما أردته ، وما أردت أن أثير التفكير فيه .

لقد كتب الكاتبون كثيراً فى علاقة الشرق بالغرب سياسيا ، وكتبوا فى علاقة الشرق بالغرب اقتصاديا ، ولكن التفكير فى صلة الشرق بالغرب دينيا ، واحتمال نشر الدعوة الإسلامية بين ربوع الغرب لم يسترع عناية الباحثين إلى الحد الذى يتناسب مع جلال الموضوع وخطره .

وهذه الصفحات التالية تهدف إلى أغراض منها :

أن يشعر المسلم بعزة وفخار لأنه مسلم ؛ وأن يعرف فى شىء من الوضوح أن الإسلام فى العهد الحاضر هو الدين الوحيد الذى يعد حقا دينا عالميا ..

وتهدف من قبل ذلك ومن بعد ذلك إلى تبيين واجب المسلم نحو هـذا الدين ، سواء كان من ناحية تحقيقه نقيا صافيا فى نفسه ، أو كان من ناحية الدعوة إليه ونشره والله الموفق :

« ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا » .

أوربا ... والمسيحية

سجل التاريخ ، فى صورة واضحة . مآسى محاكم التفتيش ، وما كانت تقوم به من إحراق بالنار ، ورمى فى الزيت المغلى ، وإخراج الأظافر ، وتقطيع لأجزاء الجسم قطعة قطعة : زيادة فى العذاب ومضاعفة للآلام .

وسجل الأثر الأخلاقى الذى غمر الإنسانية فى أوربا من جراء هذه المحاكم : فقد عم الرياء والنفاق ، خوفا على الأموال والأرواح ، وانتشر الكذب والمداهنة بصورة لا مثيل لها . ووقر فى أذهان الناس أن العدالة خرافة من الخرافات ، وأسطورة من الأساطير : ذلك أن شعار محاكم التفتيش ، كان سماع الاتهام ، وعدم الإصغاء إلى الدفاع . وكان المقرب إلى هذه المحاكم هو الذى يتهم الآخرين ، بل هو الذى يكثر من اتهام الآخرين . كانت فترة هول يشيب لها الأطفال ، وكانت باسم الدين ، وعن رجال الدين .

وحدثنا التاريخ أن نفوذ محاكم التفتيش تخطى أوربا ، وعبر البحار ، وتغلغل مع الفاتحين الأسبان فى ربوع أمريكا ، لأول عهدها بالغزو والفتح . وكانت الفظائع التى ارتكبت هناك ، سواء من الفاتحين ، أو من رجال الدين ضد الهنود الحمر ، لا تعد ولا تحصى .

وإذا كان ضمير رجال الكنيسة قدر له أن يهمس أحيانا نادرة ، بأن

الأوربيين مواطنون ومسيحيون ، فإنه لم يكن يهمس بشئ بالنسبة للهنود الحمر : لذلك كان التنكيل بهم أشد ، والعذاب الذي يصب عليهم أنكى وأفظع :

سجل التاريخ كل هذا فى كتب لا يحصيها العد . ولم يقتصر التصوير على الكتب ، وإنما تعداها إلى القصص الذى وجد ميدانا خصيبا فى المآسى العنيفة التى ارتكبت باسم الدين .

ومن القصص التى صورت ذلك خير تصوير : القصة الخالدة التى ترجمت إلى اللغة العربية باسم « فارس قصطلة » . وكان الأولى أن تترجم باسم « فارس قشتاله » .

ومهما يكن من شئ ، فإن هذه القصة صورت المأساة تصويرا بارعا ، سواء فى جانبها الأوربى ، أو فى جانبها الأمريكى . وقدظهرت هذه القصة فى السينما ، فوجهت الأذهان توجيها قويا نحو الربط بين المسيحية والتنكيل بالإنسانية .. !

وسجل التاريخ - أيضا - ذلك الصراع العنيف بين المسيحية ، ورجال العلم ورجال الفكر الحر ، وليست مأساة « جاليليو » بالحادث الوحيد . فالكثير من رجال العلم والفكر أحرق أو شنق ، أو زج به فى أعماق السجون ، وكل ذلك باسم الدين .. !

وتنفس الناس الصعداء فى عصر النهضة التى كانت ثمرة لجهاد أحمر : أريقت فيه الدماء ، وتيتمت فيه الأطفال ، وأزهقت فيه النفوس .

وكانت النهضة تحررا من السيطرة الطاغية : كانت تحررا من سيطرة

الملوك والأمراء ، وكانت تحررا من سيطرة التقاليد والعادات ، وكانت ـ أيضا ـ تخلصا من سيطرة رجال الكنيسة والكهنوت .

لقد فقدت الكنيسة سيطرتها الطاغية منذ بدء النهضة ، ولكنها كانت تعمل دائبة لإعادتها .

وأتى القرن الثامن عشر ، والكنيسة تحلم بإعادة سابق سيطرتها على العالم الأوربي ، وتسعى جاهدة ، لاسترداد ما فقدته من سلطان على الضمائر والنفوس والقلوب . وشعر كبار الكتاب بالخطر يتهدد الإنسانية في صورة محاكم التفتيش ، فحمل « فولتير » و « روسو » وغيرهما ، حملة شعواء على رجال الدين المسيحي ، وتخطت حملتهم رجال الدين إلى المسيحية نفسها ، فأخذوا يقوضون قيمها ، ويهدمون بمعاول من فولاذ ، بيد أن أبحاثهم ـ وإن كانت تستهوى الأديب ـ لبلاغة الأسلوب ، وجمال التعبير ، وقوة المنطق ، إلا أنها لم تكن تتسم بالصورة العلمية الحقيقية ، وكانت تبدو ، عند المتمعن ، كأنها ثأر ثائر لا يبالى ، في سبيل الغاية ، بالوسائل التي يسلكها ، ومن أجل ذلك كانت أبحاثهم متفاوتة القيمة : فيها الضعف وفيها القوة ، وفيها الحقيقة وفيها الوهم ، ولكنها ـ على كل حال ـ نالت من قدسية المسيحية ، وعبدت الطريق للنقد العلمي .

بدأ ، إذن ، النقد العلمي في القرن التاسع عشر ، وبدأ متسلسلا ثم أخذ يتغلغل شيئا فشيئا ، حتى إذا كان أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، شمل النقد المسيحية من جهة عقيدتها ، ومن جهة كتبها المقدسة .

كتب « رينان » عن المسيح عليه السلام ، كتابا يثبت فيه . « أن السيد المسيح لم يكن إلها ، ولا ابن إله ، وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامى وبالروح الكريمة » ، وإذا قوضت فكرة : المسيح الإله ، أو المسيح . ابن الإله ، فقد انهارت المسيحية الحالية من أساسها(١) .

ولكن « رينان » لم يكن متطرفا فى حكمه ، فقد أثبت على كل حال وجود المسيح وجوداً تاريخيا حقيقياً .

وما كان من المعقول قط . أن يؤمن رينان . ذو العقلية الصارمة . بألوهية المسيح ، أو بالتثليث ، أو بالخلاص ، بالطرق التى توجبها الكنيسة . والحمد لله ، أن آمن بوجود المسيح كحقيقة تاريخية .

ولكن آخرين أخذوا ينقبون فى بطون الكتب ، ويتتبعون الروايات ، ويغربلون الوثائق ، فانتهوا إلى عدم الاطمئنان لوجود المسيح وجوداً تاريخياً ، ورأوا أن المسيح : أسطورة(٢) .

ولقد اشترك الأستاذ « بابيه » ، أستاذ علم الاجتماع فى جامعة « السربون » ، مع زميلين له فى تأليف كتاب ينحو هذا النحو الأخير .

وأثبت الاستاذ « بابيه » أن السبب الرئيسى ، بل السبب الوحيد الذى جعل « الامبراطور قسطنطين » يتخذ المسيحية دينا رسمياً ، إنما هو ما رآه فيها من التعصب الذى لا يوجد فى غيرها من الأديان التى كانت منتشرة إذ ذاك فى روما ، ورأى أن هذا التعصب نفسه هو الذى سيربط الامبراطورية برباط من حديد ، فيكون ذلك مقاوما لعوامل التفكك التى تسرى فى شرايين الامبراطورية .

(١ ، ٢) آراء يقصد المستشرقون منها المسيحية فى أوروبا حيث البيئة التى عاشوا فيها .

لقد ابتأس الامبراطور حينما رؤى التفكك والانحلال يسرى فى امبراطوريته المترامية الأطراف ، وأخذ يفكر فيما يمكن أن يربط هذه الأشلاء التى توشك أن تتداعى .

ونظر فى الأديان الموجودة فوجدها ثلاثة أديان متعادلة ، كل منها يصارع الآخر ليصرعه ، ولم يكن نظره فى هذه الأديان للهداية والرشد أو النجاة فى العالم الأخروى ، وإنما كان ينظر فى الأديان ليرى أيها أشد تعصباً وأشد تهيؤا واستعداداً للتنكيل بالمخالف ، فرأى أن المسيحية يتوافر فى رجالها ذلك ، فاختارها دينا رسمياً للدولة من أجل هذا السبب فحسب .

أما أحد زملاء « بابيه » فقد كتب فى الكتاب نفسه ، قائلا أن المسيح ، عليه السلام : أسطورة لا حقيقة لها .

وكتب الزميل الثالث موضوعا لا يقل خطورة عن ذلك . وقد وجد من علماء تاريخ الأديان أى النصف الأول من القرن العشرين ، علمان من أعلام الباحثين ، أحدهما : الاستاذ « لويس » ، وقد تخصص فى كتب العهد القديم ، وأثبت بالطريق العلمى الصحيح أن هذه الكتب نالها التحريف .

أما الآخر ، وهو الاستاذ « جنى بير » فقد كان أستاذاً لتاريخ الأديان بجامعة « السربون » إلى عهد قريب ، ولأبحاثه شهرة عالمية . وقد كتب كتابا ضخما عن العصر الذى نشأ فيه المسيح ، عليه السلام ، وكتب كتابا آخر فيما يقرب من خمسمائة صفحة عن المسيح نفسه ، وكتب

كتابا ثالثاً عن تطور العقائد ، ورابعاً فى جزئين عن المسيحية القديمة ، ومسيحية العصور الوسطى ، والمسيحية الحديثة .

وقد أثبت فى كل هذه الكتب ، بما لا يدع مجالا للشك ، أن المسيحية الحالية ليست هى مسيحية المسيح ، بل ولا تمت إلى مسيحية المسيح بصلة ، اللهم إلا الصلة الاسمية .

وقد تتبع المسيحية الحالية : كيف نشأت منفصلة عن المسيح ، ثم كيف تطورت إلى أن أصبحت فى الوضع الحالى . . وبين ـ فى وضوح لا لبس فيه ـ أثر القديس « بولس » على المسيحية ، والقديس « بولس » هذا : أمره غريب ، وحالته النفسية لم تتضح كل الوضوح الآن .

لقد كان يهوديا متعصبا لليهودية يصارع خصومها فى عنف ، ويستعمل كل نشاطه وحيويته فى تثبيت دعائمها ، ثم كان وثنيا شديد التعصب للوثنية .

وذات ليلة ـ بينما كان مسافراً ـ زعم أنه رأى المسيح ، والنور والإشراق ، وأنه اهتدى إلى المسيحية ، وركز حيويته الجارفة أيضاً فى تدعيمها ، ولكن كيف ، أن المسيح لم يدع أنه آت بدين جديد مستقل عن دين موسى ، وإنما أتى ـ حسب ما يقول ـ لإصلاح ما أفسده اليهود فى دين موسى . وتلك فكرة لا تجعل لديانة المسيح أصالتها . وبالتالى لا تروق للقديس بولس ، فأخذ يخترع . وينظم وينسق ، إلى أن أقام مسيحية تدين له أكثر مما تدين للمسيح(١) .

لقد أثبت الاستاذ جنى بير ، أن المسيحة الحالية إنما هى فى أغلبها

(١) هذا رأى المستشرق .

الأمم : مدينة القديس بولس ، وأثبت أن المسيح كان - على الخصوص - متجها إلى إذاعة ونشر بعض القواعد الأخلاقية التى كانت تحتاجها البيئة إذ ذاك . لقد كانت بيئة متحجرة لا تنبض القلوب فيها بقطرات من الرحمة أو الإشفاق . لقد كانت البيئة اليهودية على أسوأ ما يمكن أن تكون عليه اليهودية .

وأتى المسيح مبشراً بالرحمة ، والإشفاق ، والتعاون ، والمحبة .

أما التثليث، وأما فكرة الألوهية التى تمشى على الأرض متمثلة فيه، أو البنوة للإله ، أما هذه العقائد المعقدة التى لا يستسيغها عقل ، ولا يطمئن إليها فؤاد . فقد كانت ، حسبما يرى الاستاذ جنى بير ، بعيدة كل البعد عن رسالة المسيح .

وبالطبع .. حرمت الكنيسة كتبه ، وطردته من ملكوت السموات .. وكانت كتبه عن المسيحية تدرس بقسم تاريخ الأديان بالجامعة ، وقد حضرناها عليه شخصياً ، وامتحننا هو فيها .

كل هذه العوامل بعثت الشك فى نفوس هؤلاء الذين كانوا ، من سعة الأفق ، بحيث لم يقتصروا فى قراءتهم على الكتب التى لا تحرمها الكنيسة .

وإذا مازلزل الشك عقيدة معينة ، فإن الشك يتطلع إلى غيرها ، وقد اتجه بعض من عصف بهم الشك إلى الإسلام فأسلموا ، واعتصموا بدين الله خاتم الأديان .

ولكن ليس من الغريب أن يتطلع بعضهم إلى غير الإسلام، ما الذى يمنعهم من الدخول فى الإسلام زرافات ووحدانا ؟

---

(١) رأى المستشرق .

الغرب .. والإسلام

إذا كان الأمر كذلك ، فما الذى يمنع الغربيين من الدخول فى الاسلام زرافات ووحدانا ، إن الاسلام واضح جلى ، وإن تعاليمه سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والمنطق.. فما السر فى عدم أخذ الأوربيين بهذا الدين وعدم اعتناقهم له فى سرعة سريعة وفى كثرة هائلة ؟ ؟

الواقع أن العوامل التى تمنع الأوربيين من اعتناق الاسلام كثيرة قوية ، ومن المؤسف أن بعض هذه العوامل يرجع إلى المسلمين أنفسهم . . ولنتحدث أولا عن العوامل الخارجية عن الاسلام والمسلمين . .

١ — وأول هذه العوامل هى الكنيسة :

لقد أتقنت الكنيسة فن النظام ، فلا ارتجال فيها ، كل شىء فيها معد مرتب منسق ، قد بحث عن روية وأعد إعدادا تاما . . .

وكان مما أعدته مشروعان كبيران ، أحدهما : للتبشير ، والثانى.. لصد الهجوم عن الديانة المسيحية . .

أما فيما يتعلق بالتبشير ، فإنه من الأوليات عندها .. أن يعرف المبعوث لغة المرسل اليهم ، ويدرس عاداتهم ، وتقاليدهم ، ودياناتهم ، ومواطن الضعف فيهم ، والوسائل التى تجذبهم ، وأن يعلم فضلا عن ذلك بعض مبادىء الطب ، ويعلم قبل ذلك وبعده كيفية الهجوم على الديانة

المتوطنة . وكيفية الدعوة للديانة المسيحية ، أما المشروع الآخر وهو الذى يعنينا على الخصوص هنا ، فهو على الخصوص يتركز فى دراسة مستمرة متجددة فى أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين لدى المسيحيين أنفسهم . وقد برعوا فى نشر الأضاليل على كل دين غير المسيحية . .

وما نشر من أضاليلهم عن الاسلام لا يحصر ولا يعد ، إنها أضاليل تنشر متتابعة متكررة ، تتردد فى صور مختلفة ، وينتهى بها التكرار والترديد ، إلى إيمان من تنشر عليهم بها ، وتبلغ بهم الصفاقة إلى أن يعكسوا الحقائق عكسا تاما ، فالدين الاسلامى مثلا . وهو دين التوحيد الخالص ، ودين التنزيه التام . يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان . .

ويكررون ذلك فى مختلف الأمكنة والأزمنة . وينتهى المسيحيون بالاعتقاد بأن هذا الدين إنما هو : عبادة الأوثان .

وهكذا تسير الدعاية تضليلا ، وتشويها ، وعكسا للحقائق ...

ومن أهم الوسائل أيضا لتحصين المسيحية ما يسمونه نظام الحرمان من الدين المسيحى ، وهو نظام بمقتضاه يسهل على الكنيسة أن تحرّم قراءة أى كتاب ترى فيه خطرا على المسيحية سواء كان هذا الكتاب هجوما عنيفا على المسيحية ، أو دعاية بارعة للاسلام ، أو حتى نمطا ممتازا من الدعاية القوية لسعة الأفق وتحرير الفكر .

وقد استعملت الكنيسة هذا الحق فى شأن كثير من الكتب الممتازة ، واستعملت هذا الحق أيضا فى شأن كثير من الكاتبين ، وكان

موقفها من كل كاتب لا يمكنها أن تستولى عليه ، بوسيلة الرغبة أو بوسيلة الرهبة ، أن تحرم قراءة كتبه ، وأن تحرمه هو من رحمة السماء .

عند الكنيسة ، إذن الرغبة والرهبة ، عندها المال ، وعندها الحرمان . .

٢ — على أن الأسباب التى ترجع إلى المسلمين . لا تقل خطرا عن الكنيسة .

إن أية دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن تجتذب إليها الأنصار إلا إذا كان لها دعاية ، والأحزاب لا تقوم بغير الدعاية . والبضائع لا تروج بغير دعاية وقد أخذت الدعاية فى العصر الحديث مكاناً يجعلها فى الدرجة الأولى من الأهمية . . .

ويعرف ذلك المسلمون ، يعرفه تجارهم ورجال الأحزاب منهم ، ويعرفه كل مثقف ، ولكنهم لا يعملون به فيما يتعلق بنشر الاسلام . .!

أين دعاتنا فى الشرق أو فى الغرب ؟ أين مبعوثونا ؟ أين الدعاة منا . . ؟ لا شىء فى ذلك مطلقا ، ومن المعروف أن مبعوثى الحكومة ومبعوثى الأزهر إلى الأقطار الخارجية : إنما بعثوا لتعليم الحساب والخط والاملاء واللغة العربية فى مدارس إسلامية ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية . . ليس لنا فى الخارج قط مبعوثون ، وإذا كان الدين الاسلامى ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية ، رغم الهجوم عليه ، ورغم العقبات التى تعترض طريقه . .

وللقارن ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ، ومن أمامها ومن

خلفها المستشفيات ، والملاجىء ، والمدارس ، والمعاهد ، والمال يغدق ، والوظائف تهيأ ، ولنتصور كفتى ميزان إحداهما لا شيء فيها ، وتلك هى كفة المسلمين بالنسبة للاسلام ، والأخرى فيها كل شيء ، وتلك هى كفة المسيحيين بالنسبة للسيحية . .

وسبب ثان تحدث عنه جمال الدين الأفغانى ، وكان يرى أنه أقوى الأسباب ، ذلك هو حالة المسلمين ...

وكثيرا ما قال جمال الدين : إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الاسلام من مجرد رؤيتهم للسلمين ، فإنهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكينين ، فرقت بينهم الأهواء والشهوات ، وقعدت بهم الصغائر ، وانصرفوا عن عظائم الأمور ، وأصبحوا مستعبدين مستذلين ، ولو كان الاسلام دينا قويا لما كان المسلمون هكذا . . .

ينظر الغربيون إلى المسلمين فى العصر الحاضر ، وينسون شيئين : ينسون أن المسلمين فى العصر الحاضر غير مستمسكين بالإسلام ، وتكاد الصلة التى بينهم وبينه تكون مجرد صلة اسمية ، وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام أن كانوا مستمسكين بالاسلام ، وأيام أن كانت الدنيا لهم .

ولعل المسلمين يعودن إلى دينهم صافيا نقيا ، ويستمسكون به فيكونون مرآة حقيقية يتمثل فيها الاسلام قويا ساميا .

وآداب الاسلام حقيقة كفيلة بأن تجعل من المسلم رجلا قويا مهذبا كريم النفس ، ولكن المسلمين ابتعدوا كل البعد عن الاسلام . .

ولنتخذ مثلا بسيطا ، مسألة النظافة . . لقد دعا الإسلام إلى النظافة دعوة لم يدعها دين من الأديان ، ولم يدعها مذهب من المذاهب قديما أو حديثا ، ولكن إذا نظرنا إلى الأقاليم الإسلامية أو إلى الأحياء الإسلامية ، وقارناها بالأقاليم ، أو الأحياء الأخرى ، نجد الفرق واضحا ، سواء كنا فى مصر ، أو فى تونس ، أو فى مراكش ، أو فى غير ذلك من البلدان .

ونأخذ مسألة أهم من ذلك ، مسألة اتحاد الأمم الإسلامية . .

فقد دعا اليها الاسلام فى صور لا حصر لها ، وبأساليب لا حد لتنوعها ، مهددا متوعدا تارة ، مرغبا محببا تارة أخرى ، متحدثا عن الثمرات المادية والدنيوية للاتحاد ، ومع ذلك فقد كان كل ذلك صرخة فى واد، وكأن المسلمين عن الاتحاد صم بكم عمى فهم لا يعقلون .. !

وخذ آداب الاسلام واحدا فواحدا ، وانظر إلى حال المسلمين . . هل تجد توافقا ، وانسجاما بين المسلمين والإسلام ؟

يقول جمال الدين : « إذا أردنا أن ندعو للإسلام ، فليكن أول ما نبدأ به أن نبرهن للغربيين أننا لسنا مسلمين »

وسبب ثالث لعدم انتشار الإسلام آت من المسلمين أنفسهم . . . أيضا ، وذلك هو .. عرض الإسلام وكتب المسلمين أنفسهم . . .

منذ سنوات جاء أحد الأمريكان ليمكث فى مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الإسلام ، واتصل بالهيئات التى تمثل الإسلام ، فبلغت الحيرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الاسلام.

ومن الطبيعي أن يتجه الذهن إلى كتب علم الكلام ، فهي كتب الدفاع عن العقيدة . . ولكن إذا نظرنا في كتب علم الكلام نجد أنها جدال لا ينتهي بين الذين يبحثون فيه . بالزيغ ، وابتغاء الفتنة ، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهي . . .

ثم هي تصور ـ على الخصوص ـ المستوى الثقافي للعصور الوسطى ، ولا تمت بصلة إلى الأبحاث الحديثة . ومن الطبيعي أن تكون كذلك ، لأنها ألفت في العصور الماضية ، وما ألف منها حديثا . ألف على نمطها اتباعا للآباء والأجداد . . وبغضا للخروج عن المألوف . .

وإذا لم نأخذ الدين من كتب علم الكلام فهل نأخذه من كتب التفسير ؟ !

لقد انتهى تفسير القرآن إلى أن أصبح مسرحا يتبارى فيه النحويون واللغويون وبلاغيو العصور المتأخرة ، وغشت هذه النواحي على الهداية مما أنزل الكتاب من أجله . . أي الهداية للأقوام . ! !

وإذا كانت كتب الكلام قد استفاضت في الحديث عن القدر ، مع نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيا صريحا عن الحديث فيه ، وإذا كانت قد استفاضت في الحديث عن صلة الذات الإلهية بالصفات إذ انه محاولة لاكتناه الذات الإلهية التي نهينا عن التفكير فيها ، وأمرنا بالتفكير في آثارها ، وإذا كانت كتب الكلام قد تعرضت لذلك دون جدوى ولا ثمرة ، فإن كتب التفسير أيضا قد تعرضت لهذه المشاكل نفسها دون جدوى ولا ثمرة .

ومما لاشك فيه أن اكتناه سر الألوهية من حيث الذات ، أو من حيث القدر ، من المتشابه الذى نهينا عن الخوض فيه . .

ولكن اكتناه سر الألوهيـة من الأمور التى تتطلع إليها نفوس طائفة من الناس أرادوا بعقلهم المحدد ، تعيين ما لا يحد ، وطمعوا فى أن يحددوا بعلمهم الجزئى ما لا يحيطون به علما . .

ونشاهد الاتجاه فى عهد الرسول نفسه ، وكان موقف الرسول منه حاسما ، والأحاديث كثيرة مستفيضة فى النهى عن الخوض فى الذات أو فى القدر . ومما يروى فى ذلك : الأمر المتكرر المتنوع بالتفكير فى الخلق دون ذات الخالق ، حتى لا نهلك . .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب ، حتى احمر وجهه ، ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ؟ ! ! إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا . . » .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضبا ، حتى وقف عليهم فقال : يا قوم ، بهذا ضلت الأمم قبلكم : باختلافهم عن أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ، ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به . :

وبعض الأحاديث تذكر : « فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله .»

ثم انتهرنا . . أو نغضب حتى لكأنما فقئ في وجهه حب الرمان » . .

وكان من الممكن لو استقامت عقول الناس ، ونزعت من قلوبهم الأهواء والشهوات أن يكتفى بنهى القرآن ، وبنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الذين فى قلوبهم زيغ موجودون فى العالم فى كل آونة وحين ، وفى كل بيئة ومكان .

فقد أطلت الفتنة فى عهد عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ممثلة فى صبيغ الذى كان يتكلم فى القدر ، فأخذ عمر يضربه بعراجين النخل على رأسه حتى تاب ، فتركه بعد أن دمى رأسه وقال : حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ، يريد بذلك أنه قد تاب ، وأن نزعاته قد بددتها عراجين النخل وذهب مع الدم الذى سال من رأسه ...

وسأله سائل عن آيتين متشابهتين ، فعلاه بالدرة ...

يقول الإمام ابن قتيبة فى شرح مختلف الحديث :

« ... وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون الناس بالقذى فى عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم بالتأويل ، ومعانى الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة ، وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة ، والتولد ، والعرض ، والجوهر ، والكيفية ، والأبنية . . ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم لوضح لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة . .

إن عرضنا الدين الإسلامى على هذا النمط من العرض ، جعل كتبنا لا يتيسر فهمها للأجانب عنا ، ولو لم يكن فى الإسلام تلك القوة الذاتية التى تستولى على القلوب وتغمر الأفئدة لضاق بهذه الكتب المسلمون أنفسهم .

الإسلام إذن بحاجة إلى عرضه عرضا سهلا ميسرا قويا ، وبأساليب متنوعة وصور مختلفة حتى تتلافى هذا التقصير . .

ومع كل هذا .. هل منعت هذه العوامل من انتشار الإسلام وذيوعه ؟

مفكرون منصفون من الغرب

مما لا ريب فيه ، أن هناك مفكرين منصفين - لا غربيين فحسب - بل عالميين أيضا ، وهؤلاء درسوا الإسلام دراسة عميقة ، فأحبه البعض وناصره ، وآمن به البعض الآخر وأعلن إسلامه وصدق فيه . .

ولقد كانت الحرب الصليبية سببا من الأسباب الأولى التى جعلت الكثير من الأوربيين يغيرون وجهة نظرهم فيما يتعلق بالشرق على العموم ، وبالإسلام على الخصوص .

لقد رأى الغربيون صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون ، ورأوا أن دياناتهم ليست على ما يصوره الاستعمار من الانحطاط ، والتخريف .

وبدأ الغربيون يدرسون ، فى شىء من التدبر والروية ، هذا الشرق الذى كان لا يثير فى نفوسهم إلا ما رسمه رجال مغرضون من صور تبعث فى النفس النفور .. بل الاشمئزاز .

ثم كانت الرحلات الكثيرة ، والاتصال المستمر ، والصلات المباشرة الوثيقة ، من العوامل الفعالة فى إزالة كثير من الأوهام التى علقت بأذهان الغربيين عن الشرق وعن الاسلام .

ومما لا شك فيه أننا لم نعد نرى كاتبا يحترم نفسه فى الغرب ، يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، هو إله المسلمين ومعبودهم ، كما كان يقوله ذلك كتاب سابقون .

ولم يقف الأمر عند حد إزالة الأوهام، ولكن تيار تفهم الاسلام جرى ، حتى لقد أخذنا نسمع مدح الاسلام من كبار كتاب أوربا وفلاسفتها . .

وهؤلاء الكتاب المفكرون ، ينقسمون إلى فريقين :

فريق أعلن إسلامه ، فى غير لبس ولا مرارة ، وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته ، ثم أخذ يدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها .

وفريق أحب الإسلام ومدحه ، ولا ندرى ، ماذا أسر فى نفسه ؟

بيد أن « اللورد هد لى » ـ وسنتحدث عنه فيما بعد ـ يقول :

« إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال ، والنساء أيضا ، مسلمون قلبا ، ولكن خوف الانتقاد ، والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير ، تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم »

والحق أن انتقام الكنيسة وعداءها لمن خرجوا على تقاليدها من الرهبة ، بحيث يحمل كل إنسان يطيل التفكير قبل إعلان رأيه .

وسواء أكان هؤلاء الكتاب اعتنقوا الإسلام قلبا ، أم أحبوه وأعجبوا بما فيه من تعاليم ، فسنذكر آراءهم أولا ، ونقتصر فى ذلك على أعلامهم ، بل سنضطر ، مجبرين ، على ذكر بعض هؤلاء الأعلام ، ثم نتحدث فيما بعد عن بعض الذين أسلموا وكانت لهم شهرة عالمية .

* * *

١ — « الكونت هنرى دى كاسترى »

لقد درس « الكونت هنرى دى كاسترى » الاسلام دراسة عميقة، وكتب عنه كتابا قيما، ترجمه المرحوم فتحى زغلول، ونشر بعنوان « الإسلام سوانح وخواطر »

وقصة تفكيره فى دراسته للاسلام قصة طريفة :

كان من كبار الموظفين بالجزائر، رغم سنه المبكرة، وكان يسير ممتطيا صهوة جواده ويسير خلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء، فخوراً بمركزه، وكان يملؤه الغرور، للمدح الذى يزجيه إليه هؤلاء الذين تحت إمرته.

وفجأة وجدهم يقولون له، فى شىء من الخشونة، وفى كثير من الاعتداد بالنفس :

لقد حان موعد صلاة العصر . .

ودون أن يستأذنوه فى الوقوف، ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة، ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الإسلام الخالدة : « الله أكبر . . . »

شعر الكونت فى هذه اللحظة بشىء من المهانة فى نفسه، وبكثير من الإكبار والإعجاب بهؤلاء الذين لا يبالون به، ذلك لأنهم اتجهوا إلى الله وحده، بكل كيانهم، وبدأ يتساءل :

ما الاسلام، أهو ذلك الدين الذى تصوره الكنيسة فى صورة

بشعة . تنفر منها النفس ، ولا يطمئن إليها الوجدان ..؟

وبدأ يدرس الاسلام ، وتغيرت فكرته عنه . ورأى من واجبه أن يعلن ما اهتدى اليه ، فكان كتاب : « الاسلام خواطر وسوانح » (١)

وفى هذا الكتاب الطريف : تحدث عن كثير من جوانب الإسلام ، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالرسول ، أم فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية ، وقد تحدث ـ فضلا عن ذلك ـ عن آراء مواطنيه ، وخصوصا القدماء منهم فى صورة من السخرية ، والتهكم .

« وذهبوا إلى أن محمدا وضع دينه بادعائه الألوهية .

ومن المستغربات قولهم : إن محمدا الذى هو عدو الأصنام ، ومبيد الأوثان : كان يدعو الناس لعبادته فى صورة وثن من ذهب ، كما كان يعتقد : « الكرلو فنجيون ».

بل لقد أغرق خيالهم فى الضلال ، فذهبوا إلى أبعد من ذلك .

« وذهبوا إلى أن صورة . « ما هوم » (٢) كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق إتقان . »

وبعد أن ذكر الكثير من آرائهم قال :

---

(١) : ونحن نعتمد على هذا الكتاب على الخصوص في هذا المقال.
(٢) المقصود محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد أطلنا القول فى تلك الأضاليل ، لأن تاريخ اسكندر (١) المذكور لم يزلها ، ولأنها تركت أثراً فى الأذهان وصل إلى أهل هذه الأيام ، وتشبعت به أفكارهم فى النبي وكتابه »

ولكن ما سر هذه الحملة الشعواء الضالة التى تهزأ بالحق والضمير ، والتى لا يقرها دين أياً كان ؟

« ولو سأل سائل : هل كان أولئك المفسرون يعتقدون صحة مايقولون ؟ لأجبناه جواب أهل « نور مندة » لا - ونعم ، إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدى على حقيقته ، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية فى أناشيدهم ، بل حفظ روح البغضاء فى نفوس قومهم » . — هل هذه الروح التى كانت سائدة عند المسيحيين تجاه الاسلام اقتصرت على العصور الوسطى ؟ كلا . .

« فلم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتى أن المستشرق « بريدو » الانكليزى ألف سنة ١٧٣٣ كتابا فى سيرة النبي عنوانه : -

« حياة ذى البدع محمد » وترجمه بعضهم إلى لغتنا ، وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال : .. إن غرض واضع هذا الكتاب . هو خدمة المقصد المسيحى الحكيم ، ثم يعقب الكونت على ذلك بهذه الكلمة الحكيمة :

« أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحى الحكيم كما يقولون ، وكان سلاحهم الوحيد فى تأييد سواقط

---

(١) ألف القسيس : « اسكندر دوبون » كتابا ١٢٥٨ م عن محمد ، وكان الناس يعدونه تاريخا صحيحا للرسول مع أنه ليس كذلك

حججهم . أن يشبعوا خصمهم سبا وشتما ، وأن يسرفوا فى النقل مهما استطاعوا »

ثم يأخذ الكونت فى الرد على الافتراءات ، ومن أولى هذه الافتراءات : أن الرسول صلوات الله عليه ، كان يقرأ ويكتب ؛ فقرأ التوراة وقرأ الإنجيل وأخذ تعاليمه منهما .

وقد رد القرآن على هذه الفرية فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون .. »

ويقول الكونت فى هذا المعنى :

« ما كان يقرأ ولا يكتب ، بل كان كما وصف نفسه مرارا — نبيا أميا — وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه ، ولا شك أنه يستحيل على رجل فى الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس ، لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان ، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين من تلك الأقطار ، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره « جارسين دى تاسى » فى كتابه الذى طبعه سنة ١٨٧٤ ، كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يستدل على معرفة النبى القراءة والكتابة باختيار « السيدة » خديجة رضى الله عنها ، إياه لتاجرها فى الشام ، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلا غير متعلم ؛ فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرأون ولا يكتبون ، وهم فى الغالب أكثرهم أمانة وصدقا » .

« أما فكرة التوحيد : فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى

النبي - صلى الله عليه وسلم - من مطالعته التوراة والإنجيل ، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها ، لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته ، مخالف لوجدانه منذ خلقته ، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته ، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته فى نبوته . »

أما صدق الرسول وسمو رسالته ، فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما . ورغم الوضـــوح الواضح فى صدق الرسول وفى سمو الرسالة الإسلامية ، فإن رجال الدين من المسيحيين ورجال الاستعمار لا يزالون يبدأون ويعيدون فى ترداد التشكيك ، إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت:

« والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى ، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار فى جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب ، فآمن برب قائلها ، وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم وما جاء فى ولادة يحيى ، وصاح القسيس : إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى . قال ناقل هذه الرواية « كوزان دى بير سوفال » :

فلما كان اليوم الثانى طلب النجاشى جعفر ، وأشار إليه بتلاوة مافى القرآن عن المسيح ، ففعل . واستغرب الملك لما سمع أن المسيح : عبد الله ورسوله ، وروح منه ، نزل فى أمه مريم ، وأعجب أشد الإعجاب

بهذه المعانى ، وحمى المسلمين ، ولم يسلمهم إلى رسل قريش ، ولم ينفهم من بلاده .

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه : فظنوا أن هذه الفترات التي يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقا فى الملأ الأعلى ، إنما هى فترات مرضية ، أو هى الصرع ، ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستنداً إلى الاختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى ، فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، والسير نقول الكونت:

« ومن ذلك الحين أى البعثة ـ أخذت شفتاه تنطلق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض ، والأفكار تتدفق من فمه على الدوام إلى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت ، ولا يجد من الألفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان ، وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان . وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية ، فظن بعضهم أن به جنة ، وهو رأى باطل . لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية ، وليس من الناس من عرف الناس جميعاً أحواله فى حياته كلها مثل النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقد وصل المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض فى لحيته ولو أنه كان مريضا لما أخفى مرضه لأن المرض فى مثل تلك الأحوال يعتبر أمراً سماوياً عند الشرقيين .

وليست حالة محمد صلى الله عليه وسلم فى انفعالاته وتأثراته بحالة ذى جنة ، بل كانت مثل التى قال نبى بنى إسرائيل فى وصفها : لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلاعى ، وارتعشت منى العظام ، فصرت

كالنشوان ، لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة.»

ونختم الحديث عن آراء الكونت بهذا الوصف الرائع لتلك الساعة الأليمة ، التى فارق فيها الرسول عالمنا الدنيوى ، ليلحق بالرفيق الأعلى ، ولينعم برضوان الله ، إذ يقول :

«ولما أحس بقرب الأجل ذكر الفقراء ، فإنه لم يرغب طول حياته فى المال ، بل كان كلما جمع إليه شىء منه أنفقه فى الصدقات ، وكان قد أعطى عائشة يسيرا لتحفظه ، فلما حضره المرض أمر بإنفاقه على المعوزين لساعته ، وغاب فى سنة ، ولما أفاق سألها إن كانت أنفذت أمره ، فأجابته : كلا ، فأمر بالنقود وأشار إلى العائلات المعوزات ، فوزع عليهم ، وقال :

«الآن استراح قلبى ، فإنى كنت أخشى أن ألاقى ربى وأنا أملك هذا المال . . »

وكان فى مرضه يخرج كل يوم ليصلى الظهر بالناس ، وآخر يوم خرج فيه . هو الثامن من شهر يونية سنة ٦٣٢ ، وكانت مشيته مضطربة ، فتوكأ على الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب ، وقصد منبر الخطابة الذى كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة . وحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطب فى المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد ، فقال :

«أيها الذين تسمعون قولى ، إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه ، وإن كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وإن

كنت سلبت أحدا ماله فإليه مالى يقتص منه وهو فى حل من غضبى، فإن الغل بعيد عن قلبى .»

ثم نزل من على المنبر وصلى بالجماعة ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من إزاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينا له ، فأداها على الفور قائلا :

« لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة »

ثم دعا لمن حارب معه فى أحد وسأل الله لهم الرحمة والغفران .

وكان مشهد النبى بين المؤمنين فى ذلك اليوم مشهد جلال ووقار ، والناس يلمحون على وجهه تأثير السم الذى شربه من يد يهودية بخيبر ، وقلوبهم منفطرة من الوجد عليه ، ذلك أنه لما كان فى واقعة خيبر ، قدمت إليه يهودية اسمها : زينب شاة مشوية أضافت إليها سما ، فأخذ منه النبى قطعة واحدة بين شفتيه وأحس بأنها مسمومة . فألقاها . ثم لما حضرته الوفاة بعد حين ، كان يقول : « ما زالت تعاودنى أكلة خيبر » .

وكان أبو بكر نفسه يبكى ويقول للرسول : « هلا افتدينا روحك بأرواحنا ؟ ثم أوصله الصحابة إلى بيت عائشة واضطجع تعبا مهزولا ، وصار المرض يشتد عليه ، فتخلف عن الصلاة بالمسلمين ، وقيل له : قد جاء وقت الظهر ، فأشار إلى أبى بكر ليصلى بالناس . فكان من وراء هذه الإشارة خلافة أبى بكر بعد النبى .

وأخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت : كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسندا إلى صدرى ، وبقربه قدر

ماء ، وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ، ويقول :

« رب أعنى على تحمل سكرات الموت ، ادن منى يا جبريل ، رب اغفرلى واجمع بين أصدقائى فى السماء ، ثم ثقلت رأسه ومال ثانية إلى صدرى »

* * *

٢ — كارلايل

وكارلايل أحد كبار كتاب الإنجليز شاعرى النزعة والفطرة ، متحرر من الرياء والخبث ، يتتبع البطولة ، فيكتب عنها ويمتدحها ، ويحبب الناس فى السمو بأنفسهم إلى منازل الأبطال ، أو على الأقل إلى التشبه بهم ، وقد أثار كتابه : « الأبطال » إعجاباً فى ميدان الفكر العالمى ، وترجم إلى كل اللغات الحية ، وحينما ترجمه المرحوم محمد السباعى إلى اللغة العربية ، أثار الكثير من الإعجاب ، وقد كان لأسلوب الأستاذ السباعى البارع أثر فى انتشار الكتاب ، ومن لم يقرأه لمعانيه قرأه لأسلوبه ، وفى هذا الكتاب فصل مستفيض عن حياة الرسول صلوات الله عليه ، نقتطف منه ما يلى :

من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين : إن دين الإسلام كذب ، وإن محمداً لم يكن على حق .

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ، ظلت سراجا منيراً أربعة عشر قرنا من الزمان ، لملايين كثيرة من الناس . فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى

عاشت عليها هذه الملايين ، وماتت ، أكذوبة كاذبة ، أو خديعة مخادع ؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا ، وكان الأجدر بها ألا توجد .

هل رأيتم رجلا كاذبا ، يستطيع أن يخلق دينا ، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب ، لجهله بخصائص مواد البناء . وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون، العديدة وتمكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟ !

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلا كاذبا متصنعا ، متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع . . . وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق .

وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول . . . : وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله . . . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أحب محمدا ، لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأى ، لا يعتمد إلا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبرا ولا ذليلا ، فهو قائم فى ثوبه المرقع، كما أوجده الله، يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم ، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة . والحياة الآخرة .

وما كان محمد يعاشق قط ، ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو ،

فكانت المسائل عنده مسألة فناء و بقاء ، أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق ، فما كان من عادته قط .

ويزعم المتعصبون أن محمدا لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والحياة والسلطان . . كلا واسم الله . لقد انطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس ، المملوء رحمة وبرا وحنانا ، وخيرا ونورا وحكمة ، أفكار غير الطمع الدنيوى . وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان .

ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره . حمق وسخافة وهوس : إن رأينا ورأيهم ، أية فائدة لرجل على هذه الصورة فى جميع بلاد العرب ، وفى تاج قيصر وصولجان كسرى جميع ما بالأرض من تيجان . . !

لم يكن كغيره : يرضى بالأوضاع الكاذبة ،ويسير تبعا للاعتبارات الباطلة . ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل .

لقد كان منفردا بنفسه العظيمة ، وبحقائق الكون والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه .

لهذا جاء صوت هذا الرجل منبعثا من قلب الطبيعة ذاتها . . لهذا وجدنا الآذان إليه مصغية ، والقلوب لما يقول واعية .

لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه ، وسائر أموره وأحواله ، فكان طعامه ، عادة ، الخبز والماء . وكثيرا ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار .

فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل متقشف ، خشن الملبس والمأكل ، مجتهد فى الله ، دائب فى نشر دين الله ، غير طامح إلى ما يطمح إليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان .

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلاقى من العرب الغلاظ احتراما وإجلالا وإكبارا ؛ ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون حوله ، يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه . . لقد كان فى قلوب العرب جفاء وغلظة ، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم . لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلا، وأيم الله.

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته ، ولما انقادوا لمشيئته .

وفى ظنى أنه لو وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبى ، لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته، كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع » . . !

هكذا تكون العظمة . . !

وهكذا تكون البطولة . . !

وهكذا تكون العبقرية . . !

* * *

٣ — تولوستوى

ولعلنا لسنا بحاجة إلى الحديث عن « تولستوى » أديب وكاتب روسيا الأعظم ، لقد كان من هؤلاء الذين سمت نفوسهم إلى درجة

لا نكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ إلا نادرا . كانت سعادة الإنسانية همه الملازم فى كل آونة ، كان باستمرار يفكر فى تخفيف ويلات الإنسانية فى معالجة مرضاهم ، فى تسلية بائسيهم ، فى إطعام جائعهم ، فى التخفيف عن منكوبيهم .. ، وككل العباقرة الذين تسمو بهم عبقريتهم عن المستوى العادى .. ، صادف فى حياته العقبات والآلام . وبغض الحاقدين ، وكراهية الذين لا يحبون الحق .

ومن مآثره الكريمة : أنه حينما رأى الحملة الظالمة على الإسلام ، وعلى رسول الإسلام ، كتب رأيه فى هذا الدين الذى أعجب به وتحدث عن رسوله الذى نال إكباره ، وكان جزاؤه على ذلك ، أى على كلمة الحق التى يدين بها : أن حرمه البابا من رحمة الله ، فكان ذلك كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبا الأديب الكبير :

« أليس ماحصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس : أنك لست من القوم الضالين » .

ونحن ننشر هنا كلمة صغيرة جدا من رأيه . ثم ننشر خطاب الشيخ محمد عبده الذى وجهه إليه :

يقول « تولستوى » :

« لا ريب أن هذا النبى : من كبار الرجال المصلحين ، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا : أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ...

ويكفيه فخرا : أنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال . .

أما خطاب الشيخ محمد عبده فهو التالي (١) :

أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوي . .

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من أفكارك ، وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التي هدى البشر إليها . فأدركت أن الإنسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس ، لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التي لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها ، فيما كدر راحتهم ، وزعزع طمأنينتهم . .

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك

(١) : وقد نشره الشيخ رشيد رضا في كتابه عن الشيخ محمد عبده .

ضياء يهتدى بها الضالون كان مثالك فى العمل. إماما يقتدى به المسترشدون .

وكما كان وجودك توبيخا من الله للأغنياء ، كان مددا من عنايته للضعفاء والفقراء . وإن أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء نلته على متاعبك ، فى النصح والإرشاد ، هو هذا الذى سماه الغافلون بالحرمان والإبعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين . فاحمد الله على أن فارقوك فى أقوالهم .. كما كنت فارقتهم فى عقائدهم .

هذا وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من آثار قلمك . فيما تستقبل من أيام عمرك .

وإنا نسأل الله أن يمد فى حياتك ، ويحفظ عليك قواك . ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس إلى التأسى بك فى عملك والسلام ... »

* * *

وهؤلاء اعتنقوا الإسلام :

٣ — اللورد هيدلى

كان لإسلام اللورد هيدلى ـ ضجة كبيرة . لمركزه ، ولما يعلمه فيه عارفوه . من نضج فى التفكير ، وترو فى الأمور ، وحينما أراد الحج مر بالإسكندرية ، فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى ، وضعت تحت رعاية الأمير السابق ـ عمر الطوسونى ـ الذى ألقى كلمة حيا فيها الضيف الكريم إبتدأها بقوله :

« مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ، لقد خفت مصر إلى استقبالكم ، وابتهجت بمقدمكم الكريم ، أو يكون لكم متسع سرورها بذلك عظيما ، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها إليكم ، أو يكون لكم متسع من الوقت بزيارتها ، فتقوم بما يجب لكم من الإجلال والإعظام ، والترحيب والإكرام . »

وكانت الحفلة برئاسة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الغنى محمود شيخ علماء الإسكندريه .

كيف أسلم اللورد هيدلى ؟ ؟

ماهى العوامل التى دعته إلى اعتناق الإسلام ؟ ! .

إننا فى الصفحات التالية سنذكر جملة من النصوص ترشد القارىء إلى سبب رفضه المسيحية وإلى سبب إسلامه ، وإلى تصويره لكثير من وجهات النظر الإسلامية .

ويقول :

« عندما كنت أقضى — أنا نفسى — الزمن الطويل حياتى الأولى فى جو المسيحية ، كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامى : به الحسن ، والسهولة ، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت . . !

وثبتنى فى هذا الاعتقاد . زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك ، ودراستى للقرآن المجيد . »

له الله .. كم تألم وقاسى فى سبيل وصوله إلى الحق :

اسمع إليه يقول :

« فكرت وصليت أربعين سنة ، كى أصل إلى حل صحيح » .

ويجب على أن أعترف أيضاً أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما عظيما للدين المحمدى السلس الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة ، لا فى أيام الآحاد فقط ..

ويرى أن الإسلام هو الدين العالمى حقا .

« أيمكن إذن ، أن يوجد دين يمكن العالم الإنسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى ، الذى هو فوق الجميع وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟ . . »

فكر لحظة ـ وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة ـ أنه إذا أصبح كل فرد فى الامبراطورية الانكليزية محمديا حقيقيا بقلبه وروحه

لأصبحت إدارة الأحكام أسهل من ذلك ، لأن الناس سيغادرون بدين حقيق .

وهاهو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله :

« روح : الشكر هي خلاصة الدين الإسلامي ، والابتهال أصل في طلب القيادة والإرشاد من الله .

إنه وإن كان شكري لله على كرمه وعنايته ، كان متأصلا في ، من صغري وأيام حداثتي إلا أنني لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية ، التي قرع فيها الدين الإسلامي لي حقا ، وتملك رشدي صدقا ، وأقنعني نقاؤه ، وأصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي ، إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما قط من قبل ، كما استنشق هواء البحر ، الخالص النقي ، وبتحقق من سلاسة وضياء وعظمة الإسلام ومجده ، أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار .

ومما يذكر من تعاليم الإسلام مشيداً به :

« ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه ، إنه أمام الجميع وفوق الجميع ، وليس هناك قدوس آخر تشركه معه ، إنه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء رؤية أبيهم القهار المتصل دواما بكل مخلوقاته ، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين .

مفتاح السماء موجود دائماً في مكانه ، ويمكن إدارته بأذل وأقل

المخلوقات دون أية مساعدة من نبي أو كاهن أو ملك . إنه كالهواء الذي نستنشقه مجانا لكل خلق الله .

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك ، ما دعاهم إلى هذا العمل إلا حب الفائدة .

ليس غرضي الرئيسي أن أهاجم أي فرع معين من فروع الديانة ، لأبين جلال وسلاسة الديانة الإسلامية ، التي هي خالية في نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة جليا في كثير من الديانات الأخرى . . »

ولقد افترى كثير على الإسلام وهاهو ذا يرد على افتراءاتهم .

« ليس في وسع الإنسان ، في الحقيقة ، إلا أن يعتقد أن مدبجي وناسجي هذه الافتراءات ، لم يتعلموا ، حتى ولا أول مبادئ دينهم ، وإلا لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم ، تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق .

إن تعاليم القرآن الكريم . قد نفذت ومورست في حياة محمد الذي سواء في أيام تحمله الألم والاضطهاد ، أو في زمن انتصاره ونجاحه - أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها .

فكل صفات الصبر والثبات في عصره كانت ترى أثناء الثلاث عشرة سنة التي تألمها في مجاهداته الأولى بمكة ، ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأي تزعزع في الثقة بالله ، وأتم كل واجباته بشمم وحمية .

كان ، صلى الله عليه وسلم ، مثابرا ، ولا يخشى أعداءه . لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه .

وقد أثارت تلك الشجاعة التي لا تعرف الجفول ـ تلك الشجاعة التي كانت حقا إحدى مزاياه وأوصافه العظيمة ـ إعجاب واحترام الكافرين، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله .. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا، وازداد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة، أيام انتصاره بالمدينة، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام، واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه.

العفو والإحسان والشجاعة، ومثل هاتيك الصفات، كانت ترى منه في كل تلك المدة، حتى وإن عددا عظيما من الكافرين اهتدوا إلى الاسلام عند رؤية ذلك.

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه، آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة، وأغنى فقراءهم وعفا عن ألد أعدائه، عندما كانت حياتهم في قبضة يده وتحت رحمته . . !

تلك الأخلاق الربانية التي أظهرها النبي الكريم. أقنعت العرب بأن حائزها يجب أن لا يكون إلا من عند الله، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حتما، وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم: حولتها تلك الأخلاق الشريفة إلى محبة وصداقة متينة . .

محمد المثل الكامل . .

ونحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم، ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقية، وزنت واختبرت في كل خطوة من خطا حياته، ولم ير فيها أقل نقص أبدا.

وبما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة ، فحياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة .

حياة محمد : كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراق ، والسخاء والكرم ، والشجاعة والإقدام ، والصبر والحلم ، والوداعة والعفو ، وباقى الأخلاق الجوهرية التى تكوّن الانسانية .

ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة ، خذ أى وجه من وجوه الآداب الإنسانية تتأكد بأنك تجده موضحا فى إحدى حوادث حياته .

ومحمد وصل إلى أعظم قوة ، وأتى اليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لاتجارى ، وكان ذلك سببا فى هدايتهم ونقائهم فى الحياة . . »

رحم الله اللورد هيدلى وجزاه عن الإسلام خير الجزاء . .

* * *

٤ — إتيين دينيه . .

ومن هؤلاء : المغفور له « اتيين دينيه » ـ أو ناصر الدين دينيه ـ وهو رسام عالمى مشهور ، له لوحات بمتاحف أوربا الشهيرة .

أعلن إسلامه فى حفل عام ، وكرس حياته لخدمة الدين الاسلامى ، فألف الكثير من الكتب النفيسة ، التى توضح حقائق الاسلام .

منها كتاب « محمد رسول الله » وكتاب « الحج إلى بيت الله الحرام »

وفى هذا الكتاب الأخير أسدى الكثير من النصائح القائمين على شئون الحج ، ذلك لأنه لاحظ بنفسه ، حينما هزه الشوق إلى تأدية الفريضة ، وزيارة الأماكن المقدسة كثيرا مما يصادفه الحجاج من متاعب يمكن تذليلها .

أما كتابه عن رسول الله . صلوات الله عليه ، فإنه مثال واضح لكتاب المحب المتبصر ، الذى استولت عليه العاطفة ، وغمره الوجد ، مرقاده مع ذلك ، نبراس العقل ، ومنطق الحوادث والوقائع الصحيحة الثابتة .

ويعنينا هنا أن نسجل أن المؤلف أهدى هذا الكتاب إلى أرواح الشهداء الجزائريين ، الذين قتلوا دفاعا عن فرنسا فى الحرب الكبرى الأولى .

وكأن المؤلف رحمه الله كان يستشف من وراء الغيب أن فرنسا ستنكل بالجزائريين الأحرار شر تنكيل ، فأراد مقدما أن ينبهها إلى أن الجزائريين قدموا اليها يدا بيضاء لا تنسى ، وضحوا بأنفسهم من أجلها ، ومن الواجب عليها أن ترد جميلا بجميل ، وأن تقابل خيرا بخير ، وهذا الإهداء وحده أصبح له الآن مغزى عميق ، فهو تعبير صارخ وصيحة عنيفة فى وجه كل من لا يزال يحسن الظن بسياسة الغرب وقادته .

وكتب كذلك رسالة ممتعة ، وازن فيها بين الإسلام والمسيحية ، ودافع فيها عن الإسلام دفاعا مجيدا أسماها « أشعة خاصة بنور الاسلام » ولم يقتصر فى عمله على توضيح الاسلام أو الدفاع عنه ، بل قام بجوار ذلك بعمل مجيد ، يذكر له بالحمد والثناء ، ذلك أنه استعرض على

المستشرقين فى السيرة النبوية الشريفة ، وأخذ يبين أخطاءهم من ناحية المنهج ومن ناحية الفكرة ، واستفاض على الخصوص فى توضيح أخطاء هؤلاء الذين استشرقوا عامدين لهدم الاسلام ، مثل القسيس « لامنس » أو القسيس « زويمر » وأخرج لنا فى ذلك كتابا لطيفا بعنوان : « الشرق كما يراه الغرب » حمل فيه حملة عنيفة ، مؤسسة على المنطق وعلى الوقائع التاريخية . فأخذت افتراءاتهم تنهار تحت قلمه واحدة بعد أخرى ، وكأنها أوراق الخريف ، لا تجد ما يمسكها فتسقط على الأرض باهتة صفراء ، لا روح فيها ولا حيوية .

رحمه الله رحمة واسعة . ! .

ونذكر الآن بعض آرائه ، مأخوذة من رسالته : « أشعة خاصة بنور الاسلام » ، ترجمة الأديب الكبير الأستاذ راشد رستم .

مسايرة الطبيعة :

لا يتمرد الاسلام على الطبيعة ، التى لا تغلب ، وإنما هو يساير قوانينها . ويزامل أزمانها ، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ، ومصادمتها فى كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الفرض الذى تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة ، فهم لا يتزوجون ، وإنما يعيشون عزباء . . . !

على أن الاسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها ، وإنما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا ، وأسهل تطبيقا ، فى إصلاح ونظام ، ورضا ميسور مشكور ، حتى لقد سمى القرآن كذلك

بيت « الهدي » لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة ، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير . . !

والأمثلة العديدة لا تعوزنا ، ولكنا للقصد ، نأخذ بأشهرها ، وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع ، والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة .

ومما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل ، وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ؟ ! بل هو المحال الذي يستحيل تنفيذه .

لم يكن للإسلام أمام الأمر الواقع ، وهو دين اليسر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج ، فلا يحكم فيه حكما قاطعا ، ولا يأمر به أمراً باتا .

والذي فعله الإسلام أول كل شيء : أنه أنقص عدد الزوجات الشرعيات ، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحا دون قيد (١) .

وانظر كيف وصفه الاسلام وصفا هو غاية في الرقة والدقة واللطف مع الحكمة .

ثم انظر هل حقق : أن الديانة المسيحية ، بتقريرها الجبرى لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديدها في تطبيق ذلك ، قد منعت تعدد

---

(١) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم — قرآن

الزوجات ؟ ! هل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ ! وإلا فهؤلاء مثلا ملوك فرنسا ، دع عنك الأفراد ، الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات ، وفى الوقت نفسه لهم من الكنيسة تعظيم وإكرام . . !

إن تعدد الزوجات قانون طبيعى ، وسيبقى ما بقى العالم ، ولذلك كان ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذى أرادته ، فانعكست الآية منها ، وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه . وكان مثلها فى ذلك مثل الشجرة الملعونة التى حرمت ثمراتها ، فكان التحريم إغراء .

على أن نظرية التوحيـــد فى الزوجة ، وهى النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً ، تنطوى تحتها سيئات متعددة ، ظهرت على الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء — تلك هى الدعارة ، والعوانس من النساء ، والأبناء غير الشرعيين . . !

وإن هذه الأمراض الاجتماعية ، ذات السيئات الأخلاقية ، لم تكن تعرف فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق ، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدينة الغربية .

ومن الأمثلة القائمة على ذلك : ما كان من أمر « وادى ميزاب » حيث تسكن القبيلة التى بهذا الإسم فى البلاد الجزائرية ، إذ لم تدخلها الدعارة إلا بعد ضمها إلى فرنسا عام ١٨٨٣ م ، وقد وصل بها الحال اليوم أن أربعة بلدان من مجموع كله سبعة بلدان قد ابتليت بهذا .

ومما نرويه من هذا القبيل ما جاء فى كتاب « الإسلام » تأليف

« شيخ دومولان » إنه « عندما غادر والدكتور « ماقروكورداتو » الآستانة سنة ١٨٢٧ إلى برلين لدراسة الطب لم يكن فى العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة ، كما لم يعرف فيها داء الزهرى « وهو السفليس المعروف فى الشرق بالمرض الأفرنكى » فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أى سنة ١٨٣١ م تبدل الحال غير الحال . وفى ذلك يقول « الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا فى حسرة موجعة :

« إننا نرسل أبناءنا إلى أوربا ليتعلموا المدنية الأمريكية ، فيعودون إلينا مرضى بالداء الأمريكى .. »

على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف بعض الشيء من أضرار هذا التعنت فى القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة من السيئات : إذن ماذا ؟ إذن أى الأدواء قد خلا تماما من بعض السميات ؟ .

على أن الكنيسة قد أساءت كذلك فى مسألة الطلاق بمثل ما أساءت فى أمر التوحيد فى الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة .

أنظر هل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا لبعضهما صبرا ، وقد خاب ظنهما فى الزواج ، ولم يدركا السعادة التى طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يظلوا يقضيان بقية أيامهما فى عذاب ونكد وشقاء ..!

كذلك إذا كان أحدهما عاقرا ، وكان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر ، وأن يقيم له عائلة من جديد .

وإننا ونحن فى صدد الطلاق لا تفوتنا حكمة التشريع الإسلامى

وهو يرى السوء فى فوضى الطلاق . فيسمع النبي الكريم يقول : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

* * *

الفروسية :

إن الفروسية ونبالة قصدها ، لم يكن يعرفها الأقدمون من اليونان والرومان ، ولكنها كانت معروفة عند العرب أمام جاهليتهم ، ثم هذبها الإسلام وطهرها تطهيرا .

وعلى إثره دخلت أوربا ووصلت إلينا نحن الغربيين ولم يبق أحد اليوم ينكر نسبتها إلى العرب .

وقد ذكر العالم المسيحى المتدين - بارتلمى سان هيلار - فى سياق حديثه عن القرآن :

« إن العرب هم الذين يرجع اليهم الفضل على سادات أوربا وفرسانها ، فى القرون الوسطى ، فى تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها ، ثم تعليمهم رقة العاطفة ، وتهذيب نفوسهم ، والرقة بها الى حيث الإنسانية والنبالة .

وكل ذلك دون أن يصيبهم ضعف يفقد من فروسيتهم وشجاعتهم شيئا .

ويخطىء من يظن أن هذا راجع الى المسيحية وحدها رغم ما فيها من المزايا والفضائل ، وقد حفظ لنا التاريخ فى سجلاته عن فروسية

العرب وروحها العالية جميع أدلة العظمة الموشاة بالرقة والتهذيب. وقد ذكر منها الكثير واصف باشا بطرس غالي في كتابه : « فروسية العرب المتوارثة » وهو ، وإن كان قبطياً مسيحياً ، فإن لأقواله قيمة عظيمة ، وهو الرد الصحيح على ما جاء به - بيرون Peron - من الإدعاءات والتعصب

يقول واصف باشا

« كان محمد يحب النساء ويفهمهن ، وقد عمل جهد طاقته لتحريرهن. وربما كان ذلك بالقدوة الحسنة التي استنها فوق ما هو بالقواعد والتعاليم التي وضعها . وهو يعد بحق من أكبر أنصار المرأة العمليين إن لم يكن أولهم . فلقد كان بهن رحيما وعليهن حليما . وكان لين الجانب كثير العطف عليهن ، عظيم الاحترام والتكريم لهن . لم يكن ذلك خاصاً منه بزوجاته ، بل ذلك كان شأنه مع جميع النساء على السواء »

فهل نستطيع أن نقول شيئاً من هذا عن الكثيرين من رجال الكنيسة ، وقد كان يقول أحدهم :

« سان بوناڤنتور St. Bona ventare إلى تلاميذه .

« إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً ، بل ولا كائناً وحشياً . ، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته . والذي تسمعون هو صفير الثعبان » .

* * *

الخمر :

« وذلك هو الداء الفتاك ، وهو أحد الأمراض الاجتماعية الوبيلة في عصرنا الحاضر .

على أن محمداً . هو الشخص الوحيد الذى أحس بالأثر السىء الشديد للخمر فى النفوس ، فحاربه حتى حرمه تحريماً تاماً ، وقد فاز فى ذلك فوزاً كبيراً .

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » — سورة المائدة .

نعم ، إن من المسلمين من لم يعمل بذلك ، فهو يخالف الدين فى تحريم الخمر تحريماً قاطعا . غير أن الكثيرين من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا أو أنابوا وهم لم يفعلوا ذلك إلا بتأثير الدين نفسه ، وبما جاء فيه من النهى عن الخمر والأمر بالتحريم ، فى حين أننا لم نسمع أن أحداً من المسيحيين الذين يدمنون الخمر قد تركها أو رجع عنها .

ولا يخفى أن الأناجيل المسيحية ذكرت أن المسيح فى أفراح « قانا » ملأ من النبيذ ستا من قدر الماء ، تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين إلى تسعين لترا بمكيالنا الحاضر .

كما أن الكنيسة قد جعلت « مونيك » الإفريقية فى عداد القديسات ، مع أنها كانت من مدمنات الخمر ، كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس « أغسطين » فى اعترافه .

* * *

٣ – الشيخ عبد الواحد يحيى

أما الذى كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الظاهرة ، فاقتدوا به : وأعتنقوا الاسلام ، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة ، تعبد الله على يقين فى معاقل الكاثوليكية فى فرنسا ، وفى سويسرا . . . فهو العالم الفيلسوف الحكيم ، الصوفى : « رينيه جينو » الذى يدوى اسمه فى أوروبا قاطبة وفى أمريكا ، والذى يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون اتصالا وثيقا بالدراسات الفلسفية الدينية فى أوربا ، أو فى أمريكا

وكان سبب إسلامه بسيطاً منطقياً فى آن واحد :

لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم يجد – بعد دراسة عميقة – سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل . لأن الله تكفل بحفظه ، وحفظه حقيقة : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحا ، فاعتصم به ، وسار تحت لوائه ، فغمره الأمن النفسانى فى رحاب الفرقان .

ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتاب : « أزمة العالم الحديث » بيّن فيه الانحراف الهائل الذى تسير فيه أوروبا الآن ، والضلال المبين الذى أعمى الغرب عن سواء السبيل .

أما كتابه : « الشرق والغرب » فهو من الكتب الخالدة ، التى تجعل

كل شرق يفخر بشرقيته . وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره ، مبينا أصالته في الحضارة ، وسموه في التفكير ، وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء ، وعدوانه الذي لا يقف عند حد ، وظلمه المؤسس على المادية الاستغلال ، وظهرا في كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم ، وفهمهم الأمور فهما يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادىء الانسانية . . !

وقد كتبنا عنه تقريراً لإحدى جامعاتنا المصرية ، للتعريف به ، ننشره فيما يلي :

« رينيه جينو : من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالي وأمثاله ، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلوطين صاحب الأفلاطونية الحديثة ، وأمثاله .

وإذا كان الشخص ، في بيئتنا الحالية ، لا يقدر التقدير الذي يستحقه إلا بعد وفاته ، فقد كان من حسن حظ : « رينيه جينو » أنه قدر أثناء حياته ، وقدر بعد وفاته . أما في أثناء حياته : فكان أول تقدير له : أن حرمت الكنيسة قراءة كتبه ، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم ، وقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر ، الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك ، ولكنها رأت في « رينيه جينو » خطرا يكبر كل خطر سابق ، فحرمت ، حتى الحديث عنه

وإذا كان هذا تقديرا سلبيا له قيمته ، فهناك التقدير الإيجابي ، الذي

لا يقل في أهميته ، عن التقدير السلبي ، فهناك هؤلاء الذين استجابوا لدعوة : « رينيه جينو » فألفوا جمعيات في جميع العواصم الكبرى في العالم ، وعلى الخصوص ، في سويسرا ، وفي فرنسا ، والمكونون لهذه الجمعيات ، احتذوا حذو « رينيه جينو » ، فاتخذوا الإسلام دينا ، والطهارة والإخلاص وطاعة الله ، شعارا ودينا ، ويكونون ، وسط هذه المادية السابغة ، وهذه الشهوات المتغلبة ، واحات جميلة ، يلجأ إليها كل من أراد الفوز والطمأنينة .

ومن التقدير الإيجابي أيضا ، أن كتبه ، رغم تحريم الكنيسة لقراءتها ، قد انتشرت في جميع أرجاء العالم ، وطبعت المرة بعد الأخرى ، وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة ، ما عدا العربية ، للأسف الشديد .

ومن الطريف : أن بعض الكتب ترجم إلى فئة : الهند الصينية ، ووضعت كشرح للوصية الأخيرة من وصايا « الدالاي لاما » ، ولم يكن يوجد في الغرب شخص متخصص في تاريخ الأديان ، إلا وهو على علم بآراء « رينيه جنو » .

كل هذا التقدير كان في حياته .

أما بعد مماته ، فقد زاد هذا التقدير ، لقد كتب عنه جميع صحف العالم ، ومنها بعض الصحف المصرية العربية ، كالمصور مثلا ، الذي كتب عنه في استفاضة ، والصحف الإفرنجية أيضا ، كمجلة : « أجيبت نوڤل » ،

التي أخذت تكتب عنه وعدة أسابيع . ثم أخذت تكتب عنه كل عام في ذكرى وفاته .

وقد خصصت له مجلة : « فرنسا آسيا » ، وهي مجلة محترمة ، عددا ضخما ، كتب فيه كبار الكتاب الشرقيين والغربيين ، وافتتحه بتقدير شاعر فرنسا الأكبر . « أندريه جيد » له « رينيه جينو » وقوله، في صراحة لا لبس فيها ، إن آراء « رينيه جينو » لا تنقض :

وخصصت مجلة : « ايتودترا ديسيونيل » ، وهي المجلة التي تعتبر في الغرب كله : لسان التصوف الصحيح ، عددا ضخما من أعدادها ، كتب فيه أيضا ، كبار الكتاب الشرقيين والغربيين .

ثم خصص له الكاتب الصحفي الشهير ، « پول سيران » كتابا ضخما تحدث فيه عن حياته وعن آرائه ، ووضعه ، كما وضعه الآخرون الذين كتبوا عنه ، في المكان اللائق به ، بجوار الإمام الغزالي أو الحكيم أفلوطين .

نشأ « رينيه جينو » في فرنسا من أسرة كاثوليكية ، ثرية محافظة ، نشأ مرهف الحس ، مرهف الشعور ، مرهف الوجدان ، متجها بطبيعته ، إلى التفكير العميق والأبحاث الدقيقة . وهاله ، حينما نضج تفكيره ، ما عليه قومه من ضلال ، فأخذ يبحث ، في جد عن الحقيقة ، ولكن أين هي ؟ أفي الشرق أم في الغرب ؟ وهل هي في السماء أم في الأرض .

أين الحقيقة ؟ سؤال . وجهه « رينيه جينو » إلى نفسه ، كما وجهه من قبل إلى نفسه : الإمام المحاسبي ، والإمام الغزالي ، والإمام محي الدين بن عربي ، وكما وجهه ، من قبلهم ، عشرات من المفكرين الذين أبوا أن يستنيموا للتقليد الأعمى . . . وتأتي فترة الشك والحيرة والألم الممض ، ثم يأتي عون الله ، وكان عون الله ، بالنسبة لـ « رينيه جينو » : أن بهرته أشعة الإسلام الخالدة ، وغمره ضياؤه الباهر ، فاعتنقه وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحي ، وأصبح جندياً من جنوده يدافع عنه ويدعو إليه . ومن أمثلة ذلك : ما كتبه في كتابه : « رمزية الصليب » تفنيداً للفرية التي تقول : إن الاسلام انتشر بالسيف . ومن أمثلة ذلك ، أيضاً : ما كتبه ، في العدد الخاص ، الذي أصدرته مجلة : « كاييه دي سود » ، في عددها الخاص بالاسلام والغرب عن : الاسلام والغرب : ما كتبه في هذا العدد دفاعاً عن الروحانية الاسلامية . لقد أنكر الغربيون روحانية الاسلام أو قللوا من شأنها ، وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها ، ووضعوا التصوف المسيحي في أسمى مكانة وقللوا من شأن التصوف الاسلامي .

كتب الشيخ عبد الواحد يحي ، مبيناً سمو التصوف الاسلامي وروعته ، ويقارن بينه وبين ما يسمونه بالتصوف المسيحي ، أو « المستيسم » ، وانتهى بأن هذا المستيسم لا يمكنه أن يبلغ ولا عن بعد ، ما بلغه التصوف الإسلامي من سمو ومن جلال . وهذا الموضوع المستفيض : أدرسه كل عام للسنة النهائية بكلية أصول الدين فأجد إقبالا عليه وتقديرا عظيما له .

على أن الشيخ عبد الواحد يحيى لم يشد بالإسلام فحسب ، وإنما أشاد فى جميع كتبه ، وفى مواضع لا يأتى عليها الحصر ، بالشرق ، ثم خصص كتابا ضخما بعنوان : « الشرق والغرب » تزيل قراءته من نفس كل شرقى مركب النقص الذى غرسه الاستعمار فى نفوس الشرقيين فى هذه السنوات الأخيرة .

لقد دأب الاستعمار على أن يغرس فى نفوس الشرقيين : أنهم أقل حضارة ، بل أقل إنسانية من الغربيين . . . وأتى الشيخ عبد الواحد ، فقلب الأوضاع رأسا على عقب ، وبيّن للشرقيين قيمتهم وأنهم منبع النور والهداية ، ومشرق الوحى والإلهام .

إن كل شرقى يفخر بشرقيته بمجرد قراءته لهذا الكتاب ، وهو ليس كتابا يشيد بالشرق على الأسلوب الصحفى ، أو على الطريقة الإنشائية ، وإنما هو كتاب علمى ، بأدق المعانى لكلمة علم ، وهذا وحده يكفى لأن يقيم الشرقيون مظاهر التكريم للشيخ عبد الواحد ، اعترافا منهم بالجميل ، والله الموفق . .

* * *

ونختم هذا الفصل بهذه الكلمة ذات المغزى عن سبب إسلام الدكتور جرينييه . .

قال الرحالة السيد محمود سالم ، فى مقال له ، نشر فى مجلة المنار ، مجلد ١٤ ص ٥١٨ : قصدت ، فى سياحاتى ، مدينة « بونتارليه » لمقابلة الدكتور : « جرينييه » المسلم الفرنساوى الشهير . الذى كان فى السابق

عضوا فى مجلس النواب . قابلته لأجل سؤاله عن سبب إسلامه . فقال :
«إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية . والتى درستها من صغرى . وأعلمها جيدا . فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة . فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا «ص» أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة . من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا ، كما قارنت أنا . . لأسلم بلا شك . إن كان عاقلا خاليا من الأغراض » .
« ص ٣٠ - ٣١ : محمد هو المثل الأعلى » .

* * *

وبعد :

فهذه الآراء التي ذكرت في هذا الكتاب عن المسيحية إنما هي آراء علماء تاريخ الأديان في المسيحية وهم مسيحيون ونشروا آراءهم هذه في فرنسا ، ثم إنهم ، كانوا أساتذة مادة تاريخ الأديان في جامعة السربون ، وقد كانوا يلقون هذه الآراء أيضاً على طلبة الجامعة .

لقد كان من الممكن أن يكون كل فصل من فصول هذا الكتاب سفراً مستقلا ، ولكننا التزمنا الإيجاز كل الإيجاز ، ولعل القارىء قد تفتحت له آفاق من العمل والنشاط لخدمة الإسلام .

أما ما نطالب به ، أولى الأمر ، وليس بشديد الصعوبة ، كل ما نأمله أن تجمع هذه الأبحاث الأجنبية التي عاصرت الإسلام وناصرته .

وتطبع بلغتها الأجنبية على نطاق واسع ، وتنشر في العالم الغربي . وتترجم في الوقت نفسه إلى اللغة العربية ، وتنشر على أبناء الاسلام .

النتيجة لهذا كله : أن يعرف الغربيون الإسلام على صورته الحقيقية ، ويعرفوه بأقلام أبناء جلدتهم الذين لا يشكون في إخلاصهم .

والغربي إذا كتب عن الإسلام ، فإنما يكتب بعقلية الغربي

ومنطقه ، فإذا ما قرأه الغربيون ، وجدوا فيه سهولة العرض ، واستساغوا فيه المنهج والاتجاه .

ومن ناحية أخرى ، فإنه مما لا شك فيه أن للغربيين نظرات دقيقة فى كثير من النواحى الاسلامية ، وإذا ما قرأ الشرقيون ذلك أفادهم وجهات نظر جديدة لعل بعضها لم يكن متبينا فى وضوح عندهم .

[illegible] ولا [illegible] إلا [illegible]

وبالله التوفيق .



العدد القادم :

الدين .. للواقع

الأستاذ فتحى عثمان

من مراجع هذا الكتاب

١ ـ آراء غربية فى مسائل شرقية
تعريب عمر فاخورى

٢ ـ إيقاظ الغرب للإسلام
تأليف اللورد هيدلى

٣ ـ نبى الإسلام فى مرآة الفكر الغربى
بقلم عز الدين فراج

٤ ـ أشعة خاصة بنور الإسلام
تأليف ناصر الدين رينيه ترجمة راشد رستم

٥ ـ الإسلام خواطر وسوانح
تأليف الكونت هنرى دى كاسترى

٦ ـ تجديد التفكير الدينى فى الإسلام
ترجمة عباس محمد

٧ ـ الأبطال تأليف كارلايل
ترجمة محمد السباعى

٨ ـ رينيه جينو « بالفرنسية »
تأليف بول سرال

ظهر من هذه السلسلة :

١ ـ الوحدة الإسلامية	للأستاذ محمد أبو زهرة
٢ ـ الديمقراطية الإسلامية	للدكتور عثمان خليل
٣ ـ الإسلام والوجود الدولى	للشيخ محمود شلتوت
٤ ـ الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة	للدكتور محمد يوسف موسى
٥ ـ الإسلام والفلسفات المعاصرة	للدكتور محمد البهى
٦ ـ الدين . . والعقل	الدكتور سليمان دنيا
٧ ـ الدكتور عبد الحليم محمود	أوروبا . . والاسلام

الكتب التالية

* الأستاذ محمد فتحى عثمان	الدين . . للواقع
* الأستاذ مالك بن نبى	فكرة كومنولث إسلامى
* الدكتور محمود حب الله	نظرة الاسلام للإنسان
* المرحوم الدكتور عبدالله دراز	المسئولية فى الاسلام
* الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا	الفقه الاسلامى فى ثوب جديد
* الدكتور محمد عبد الله العربى	الاسلام . . وأصول الاقتصاد
* الدكتور على حسن عبد القادر	الاسلام . . وأصول الحضارة
* الأستاذ أحمد مظهر العظمة	الاسلام . . ونهضة الأندلس
* الدكتور مصطفى الشكعة	إسلام . . بلا مذاهب
* الكولونيل عبد الله التل	الفن العسكرى فى الاسلام
* الأستاذ محمد عبد الله السمان	الإسلام . . والدماء

المكتب الفني للنشر
ص . ب ١٤٨٣ — القاهرة

يقدم

	قرش
١ — نظرات فى الإسلام للمرحوم الدكتور عبد الله دراز	١٠
٢ — من الحقل الإسلامى للأستاذ عبد الكريم الخطيب	١٢
٣ — الخليفة الخامس للأستاذ عبد المنعم عامر	١٠
٤ — عبد الله بن المبارك الأستاذ أبو الوفا المراغى	٥
٥ — محمد الرسول البشر الأستاذ محمد عبد الله السمان	١٠

تحت الطبع

١ — قضايا الفكر فى الأدب المعاصر — للأستاذ وديع فلسطين
٢ — آراء تقدمية الإسلام — « فتحى عثمان
٣ — محمد فى الأدب المعاصر — للأستاذين فاروق خورشيد وأحمد كمال زكى

سلسلة الثقافة الإسلامية

- شعارها : الإسلام ... والإنسانية
- هدفها : تقديم زاد من الثقافة الإسلامية الخالصة لإبراز القيم العظيمة للإسلام ...
- بحوثها : بحوث إسلامية مستقلة .. لا تخدم مذهبا ، ولا تتعصب ضد مذهب ...
- كتّابها : نخبة من أصحاب الفكر ، ممن يتوافر في أشخاصهم العقيدة والعلم والاعتزاز بهما معًا ..
- مبدؤها : حرية الرأي للكاتب حق مقدس ، ما لم تخدم هوى ، أو تركب شططا ..
- غايتها : أن نؤدي واجبا في مجال الثقافة الإسلامية لا نطلب به رزقا ، ولا نبتغي به مثوبة إلا من الله وحده . والله الموفق ..

محمد عبد الله السمان

